بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده و على آله و صحبه و من تبعه و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله و بعد.

فإن من أعظم ما يصد به منافقو هذا الزمان عن سبيل الله و عن معرفة ما جاء عن الله و رسوله قولهم "إن العامي البليد لا يمكنه فهم القرآن المجيد" فقد نصبوا أنفسهم بهذا القول أوصياء على دين الله كمن لهم أيمان على الله بالغة إلى يوم القيامة إن لهم لما يحكمون فهم يحكمون على خلقه و على كتابه بما يشاؤون، مشركين أنفسهم مع الله في هذا الحكم و ذاك.

و لم يسلكوا هذه الطريقة إلا لهدم الدين من أصله، فهم يريدون احتكار فهم كتابه لمن يشاؤون هم من الرهبان الأحبار، فيبدلوا دين الله في ظل غياب الأنظار، ثم ليصرفوا إليهم في نهاية الأمر الأسماع و الأنظار، فيكون دين من اتخذ الرهبان و الأحبار أربابا من دون الواحد القهار.

فلتعلم أمة الإسلام أن **ما كان مبينا يسيرا للأميين فهو لمن يتقن القراءة و الكتابة أبين و أيسر** و لا فرق بين هذا و بين الصحابة الذين و صفوا بالأمية إلا التقوى، و عدمه ليس عذر بل جرم عند الغافلين الأواخر خاصة و هم يفهمون كثيرا من العلوم و يتقنون القراءة والكتابة و الكثير من اللغات فرُبّ عذر أقبح من ذنب، فإثبات التقوى للنفس كإثبات الإيمان لها فمرد ذلك إلى مسألة الإستثناء في الإيمان.

فالتقوى يجعل المرء يقطع الأعذار عن نفسه و يتهمها بالظلم و الجهل لا أنه يتهمها بعدم التمكن فالتقي يؤمن أنه خُلق في أحسن تقويم و أنه لم يجعل الله له السمع و البصر و الفؤاد إلا ليشكرها و يعملها في إدراك مراد الله و يطلب ذلك لعلمه بجهل نفسه و يحاسب نفسه على ذلك أهو مفرط في شكر هذه النعم و إعمالها بأحسن ما مكنه الله بها أم لا؟ فهو وقاف عند قول الله تعالى "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" و عند قوله تعالى عن الإنسان "إنه كان ظلوما جهولا" و يخشى أن يظلم نفسه و لا يحسن شكر النعم لعلمه بجهله السابق بالمطلوب و بما مكنه الله فيه و بما علمه من معاينة آيات الله الكونية و الشرعية من البيان و الوضوح و التيسير فهو يؤمن بقوله تعالى "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" و قوله "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ" فيؤمن باتصافه بالبيان كما يؤمن بأن الله هو الهادي المبين فلا يزال مجاهدا لنفسه ظانا أن الله خلقه في أحسن تقويم فهو أهل و زيادة ليفهم أبين البيان و أيسره فهو كلام خالقه الذي خلق له ما يتمكن به من فهم كلامه و جعل كلامه أبين بيان و أيسر كلام فلا يفتن نفسه بادعاء أنه لا يفقهه فهذا قول الأقوام الغابرة من أعداء الأنبياء إذ قالوا "يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول" فإذا كان غير كاذب على نفسه صادقٌ مع الله في طلب الحق فهذا هو الذي تحصل له التذكرة التي ذكرها الله فقال "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى" و قال "سيذكر من يخشى * و يتجنبها الأشقى" و لذلك تجده يتفكر في الآيات الشرعية كما يتفكر في الآيات الكونية فكل يزيده إيمانا و تذكرة و قد قال تعالى

"إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28)" فشأن القرآن أنه ذكر للعالمين عربهم و عجمهم إنسهم و جنهم قارؤهم و أميهم كيسهم و بليدهم إلى غير ذلك من الإعتبارات فلم يكن ثم اعتبار مانع من الذكرى التي من شأن القرآن أن تحصل به إلا أنه خصص من جميع الإعتبارات اعتبارا واحدا جعله سببا مؤديا بمشيئة الله إلى الهداية فقال "لمن شاء منكم أن يستقيم" فهو إذن صدق الطلب في الإستقامة لذا كان مربط ذلك كله هو تقوى الله فلا يحتاج العامي البليد إلى الشروط التي يشترطها المثبطة كقولهم "من أنت حتى تفهم عن الله ؟ هل قرأت كتاب كذا و كذا ؟ هل زكاك أحد مشايخنا ؟ إلى غيرها من الأقوال التي يقطعون بها الطريق على طلاب الحق" فهم يشترطون شروطا ما أنزل الله بها من سلطان يمنعون بها نزول رحمة الله على الناس"بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ"، بل كل ما في الأمر هو أن يكون تقيا يخشى الله فهذا هو الذي يدفعه عندما لا يفهم أمرا معينا إلى البحث و الإستفسار و تعلم ما ينفع من الإعتبارات التي تؤدي إلى حصول مطلوبه و التي يضطر إليها دون أن يشترطها عليه أحد فإن التقوى هو الذي يضطره إليها و هو داعي الله في قلبه لا دعوة قطاع الطرق و إلا فهو لا يزال يشكر نعم الله عليه و لا يزال يرتفع عند الله بتقواه ذاك عند توفر النعم التى يتمكن بها من الفهم الصحيح و هكذا يكون شكورا لنعم ربه، فاشتراطاتهم تلك من أعظم ما يدل على أنهم لا يفقهون، نعم لا يفقهون أن كمال العباد من فعالهم و فعال الله من كماله فهم يشترطون الكمال ابتداءا على العباد حتى – يسمحون

له بالفهم بزعمهم – لا العكس ظانين أن الأمر بيدهم فهم الذين يحكمون على العباد فيبخلون على الناس بما لا يملكون حسدا من عند أنفسهم، فالصواب الذي عليه المستسلمون لأمر الله و حكمه المؤمنون بحكمته و فضله و رحمته الواصلة إلى من يشاء من عباده أن الأمر بيد الله لا بأماني العباد و أن ما يطلبونه من شروط إنما تحصل نتيجة التعلم الناشئة إرادته عن تقوى الله و طلب معرفة الحق فيما طلبه و خشية القول على الله بغير علم فإذا ما حصل على مطلوبه يكون قد أسس بنيانه على تقوى من الله و شكر لنعمه، فلا ينبغي أن يعاتبه احد على الفهم فإن الرحمة قد نزلت و الفضل حصل و وجب عليه شكر هذه النعمة و الفضل و ليس لمن لا يخشى الله إلا الحسد قال تعالى "وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)"، و هذا التقوى هو الذي جعل الأولين يفهمون كلام الله مع كونهم أميين قال تعالى "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)" فمجرد علمهم بأن الله قد أنزله فيهم كان يعني عندهم أنهم قادرين على فهمه لحسن ظنهم بربهم أنه لا يجعل كلامه مما لا يدركه خلقه فكيف إذا وصفه الله بالبيان و اليسر، فلا تبقى بذلك حجة لهم و لمن بعدهم و لذلك قال "وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(4)" فكما أن المأمور برفع صخرة بيديه أقل تمكينا من المأمور برفعها بآلة رفع فكذلك جاهلية الأمية أبعد تمكينا من الفهم من جاهلية اتقان العلوم فلا حجة لأهل جاهليتنا، بل يقال لهم إن كونكم لا تفهمون كتاب الله سببه اعتقادكم أنه كتاب مشفر لا مبين، أو أن خلقة السلف أحسن من خلقتكم أو غيرها من ظنون السوء بالله لا أنكم و هم مخلوقون في أحسن تقويم و حجج الجاحدين كثيرة و متزايدة و الجحد يبقى جحد مهما ادعى صاحبه من الأوصاف الحميدة التي يغطيه بها كالورع و التفويض بقوله "الله أعلم نصف العلم" و "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" بعد ادعاء عدم العلم في أبين ما بينه الله في كتابه لأجل أن يصرفوا فهمهم لتحريف مشايخ السوء أحفاذ أحبار اليهود و رهبانهم، و هكذا سموا تحريف آيات الله تأويلا و الجحد بآيات الله ورعا أو تفويضا فهم دائما لا يثبتونها على معناها المراد لله الذي لا يدركه إلا الأتقياء و لا يجتنبه إلا الأشقياء فالتسميات لا تغير من الحقائق شيئا، فالمنافق محجوب عن هذا الإدراك فليس همه إلا الحسد و الكبر و طلب المناصب و لذلك يسلك كل الطرق للوصول إلى مراده كما أن التقي يسلك كل الطرق للوصول إلى مراد الله ليؤمن به، فقد افترقا في بداية الطريق فكيف يجتمعان في نهايته؟ و الله المستعان.

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

[معلوم من الدين بالضرورة]

الرد على المثبطين عن فهم الكتاب المبين المنزل على الأميين

(تهدى و لا تباع)

-حصريا لأصحاب الأوهام و الأماني -

[شارك في نشرها لنيل أجرها]

إعداد :
أبو الفداء محمد بن إلياس المغربي
رحمه الله

– دار التوحيد –

هذه المطوية تحتوي على ألفاظ الجلالة وآيات قرآنية و أحاديث
احذر من تركها في مكان مهين